للرحمة لا للعذاب، فـ ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١١٩﴾﴾[1].

ثم ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ﴾ هل هي صفة الذرء الخلق؟ فما بالهم يؤنّبون ويعذّبون! أم صفة المخلوق بسوء اختياره؟ فكيف ﴿ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾!.

الذرء ليس هو الخلق نفسه، بل هو إظهار ما خلق بمظهر أعمالهم الصالحة أو الطالحة، كما ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾[2] و﴿مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ﴾[3] هما إظهار ما خلق بمظهر آخر.

فكما أن مظاهر الخير هي من الخيّرين وهي من عند الله، كذلك مظاهر الشر هي من الشرّيرين وهي من عند الله، بمعنى أنهما منا بما نختار ونعمل، وهي من عند الله بما يجازي بالعمل.

وهنا ثالوث المواصفات «لهم قلوب لهم أعين لهم آذان» تقرر معنى الذرء، فنسبة الذرء إليه تعالى لا تعني أنهم خلقوا لجهنم، بل هم الكثير كما القليل خلقوا للرحمة، ولكنهم بسوء صنيعهم بهذه الذرايع إلى الرحمة، هيّئوا أنفسهم لجهنم.

فلماذا ﴿ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ لأن ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ وقد أمروا بالفقه والإبصار والسماع وهو مهيّئ لهم أسبابها الآفاقية والأنفسية، فهو يذرؤهم - إذاً - إظهاراً بمظهر الخير الذي لم يعملوه بمظهر الشر الذي عملوه، فذلك ذرأهم أولاء لجهنم، وكما ذرأ قليلاً للجنة وهم أولئك الذين لهم قلوب يفقهون بها ولهم أعين يبصرون بها ولهم آذان

(١) سورة هود، الآيتان: ١١٨، ١١٩.
(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٣٦.

يسمعون بها، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[١]: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾[٢].

ذلك، فإنما الإنسان هو القلب الفقيه والعين البصيرة والأذن السميعة بما لها من درجات، ومن سواه ليس من الناس، بل هو من النسناس بماله من دركات.

فقد خلق الله الإنسان للرحمة، ثم ذرأ الصالحين للجنة والطالحين للنار بما ذرأوا أنفسهم، وكما يحضر الزارع الحبّ فيذرء صالحه لزرعه ويذرأ طالحه لما دون ذلك، وهكذا يذرأ الإنسان كما يزرع في مزرعة الدنيا ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[٣].

ذلك، وقد يعني ﴿ذَرَأْنَا﴾ هنا إلى ما قدمناه، ذرء العلم، أن الأكثرية من الجن والإنس هم سائرون إلى جهنم بما يختارون على علم من ﴿قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ وليس العلم قبل واقع المعلوم سبباً للمعلوم، إنما هو كاشف عنه، سواء أكان سبباً له إلى كونه كاشفاً، أم ليس هو السبب بل إنما هو كاشف، وهكذا ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾.

وفي احتمال ثالث قد يصح ﴿ذَرَأْنَا﴾ بما ذرأ الله وسائل النار والذرايع إليها كما ذرأ الذرايع إلى الجنة، ولكنها كما العلم بها ليست مسيّرة لهما إلى عمل الجنة ولا عمل النار.

فقد خلقنا الله مختارين وهدانا النجدين خيراً وشراً، وخلق ما نختاره من خير أو شر، ولم يسيّرنا لا إلى أسباب الجنة ولا إلى أسباب النار، ثم وذرائع الجنة هي أكثر بكثير من ذرائع النار، فلا خلقه هذه الذرايع وإيانا ولا خيرنا تسيير، ولا علمه بما سوف نعمله تسيير، فإنه «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين».

---

(١) سورة النجم، الآية: ٣٩.
(٢) سورة الملك، الآيتان: ١٠، ١١.
(٣) سورة النساء، الآية: ٤٩.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾:

لقد تحدثنا عن ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ على ضوء آيات الأسرى (١١٠) وطه (٨) والحشر (٢٤) وهنا زيادة ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ نتحدث - فقط - عنها دون زيادة أخرى اللّهم إلّا شطراً.

كما أن ذات الله هي الحسنى بين الذوات، بل ولا حسن لها أمام قدسية هذه الذات، كذلك ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ذاتية وفعلية، وذوات المقربين والسابقين التي هي من أحسن الأسماء الفعلية[١] وكذلك الأسماء اللفظية التي تعني مثلث الأسماء هذه ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ لا سواها.

والإلحاد في أسماء، منه أن تختلق له أسماء من أيّ الأربعة، أم تفسر بغير معانيها، أم يدعى بها خلاف المرسوم أو المطلوب بها في أي دعاء: استدعاءً ونداءً ومعرفةً وتوصلاً وما أشبه.

والإلحاد في أسماءه تعالى وجاه التوحيد فيها يعني كلا الإشراك والإلحاد، وكافة التخلفات عما رسمه الله من دعوته بها كما هو المسرود في القرآن والسنة.

ومن الإلحاد في أسماءه تسمية غيره بها كما هو يدعى، تركاً له سبحانه فإلحاد أم إشراكاً به فإشراك، ومنه تحسّب عناية أسماءه معاني زائدة على ذاته في أسماءه الذاتية، وتحسّب عديدها واقعياً، وما أشبه من تخلفات عن شرعة التوحيد الحق وحق التوحيد في ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ - ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من تخلفات عن رسم التوحيد فيها وتوحيدها.

وأحسن أسماءه الحسنى اللفظية وأجمعها هو الاسم الظاهر: «الله» وهو الاسم الباطن: «هو» فـ «الله» ليس له سميّ حتى عند المشركين والملحدين: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[٢].

والأسماء اللفظية الحسنى حسب المذكور في القرآن مائة وخمسة

(١) نور الثقلين ٢: ١٠٣ في أصول الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال في الآية: نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله عملاً إلا بمعرفتنا.
(٢) سورة مريم، الآية: ٦٥.

وأربعون[١] والروايات القائلة إنها تسعة وتسعون بين مطروحة - إذاً - أو

(١) إليكم هذه الأسماء حسب ترتيب حرف التهجي: سواء المذكورة بألفاظها أو المستفادة من صيغها:
ألف الله - الإله - الأحد - الأوّل - الآخر - الأعلى - الأكرم - الأعلم - أرحم الراحمين - أحكم الحاكمين - أحسن الخالقين - أهل التقوى - أهل المغفرة - الأقرب - الأبقى - أسرع الحاسبين - أسرع مكراً -
ب - البارئ - الباطن - البديع - البر - البصير - الباقي -
ت - التواب - التائب.
ج - الجبار - الجامع -
ح - الحكيم - الحليم - الحي - الحق - الحميد - الحسيب - الحفيظ - الحفي -
خ - الخبير - الخالق - الخلاق - الخير - خير الماكرين - خير الرازقين - خير الفاصلين - خير الحاكمين - خير الفاتحين - خير الغافرين - خير الوارثين - خير الراحمين - خير المنزلين.
ذ - ذو العرش - ذو الطول - ذو الانتقام - ذو الفضل العظيم - ذو الرحمة - ذو القوة - ذو الجلال والإكرام - ذو المعارج - ذو المغفرة.
ر - الرحمان - الرحيم - الرؤوف - الرب - رفيع الدرجات - الرازق - الرقيب - رب الفلق -
س - السميع - السلام - سريع الحساب - سريع العقاب - أسرع الحاسبين - أسرع مكراً -
ش - الشهيد - الشاهد - الشاكر - الشكور - شديد العقاب - شديد المحال - شديد القوى - شديد العذاب -
ص - الصمد -
ظ - الظاهر -
ع - العليم - العزيز - العفو - العلي - العظيم - علام الغيوب - عالم الغيب والشهادة -
غ - الغني - الغفور - الغالب - غافر الذنب - الغفار -
ف - فالق الإصباح - فالق الحب والنوى - الفاطر - الفتاح -
ق - القوي - القدوس - القيوم - القاهر - القهار - القريب - القادر - القدير - قابل التوب - القائم على كلّ نفس بما كسبت -
ك - الكبير - الكريم - الكافي -
ل - اللطيف -
م - الملك - المؤمن - المهيمن - المتكبر - المصور - المجيد - المجيب - المبين - المولى - المحيط - المقيت - المتعال - المحيي - المميت - المتين - المقتدر - المستعان - المبدي - مالك الملك - مالك يوم الدين - =

مأوّلة برجوع الزائدة عليها من عديد القرآن إلى تسعة وتسعين، وكما يروى عن النبي ﷺ وهي في القرآن[١].

وظاهر التعبير في الكتاب والسنة عن ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أنها توقيفية لا يجوز الزيادة فيها ولا النقص عنها، بل وهما من الإلحاد في أسماءه تعالى، كمثل «العلة» «علة العلل» «واجب الوجود» وما أشبه فـ ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٢] ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[٣] وأسماء الله تعالى هي توصيفات له سبحانه، إن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه وأنى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه والأوهام أن تناله والخطرات أن تحده والأبصار عن الإحاطة به جل عما يصفه الواصفون وتعالى عما ينعته الناعتون»[٤].

ذلك، وكما أن اشتقاق أسماء للخلق من أسماءه الخاصة هو من الإلحاد في أسماءه تعالى، كإلهة من الإله وما أشبه[٥] ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ جهلاً بغير علم، فالذي يلحد في أسماءه بغير علم يشرك وهو

= ن - النصير - خير الناصرين - النور -
وـ الوهاب - الواحد - الولي - الوالي - الواسع - الوكيل - الودود - الوفي - المتوفي -
هـ - الهادي - هو -

(١) الدر المنثور ٣: ١٤٨ - أخرج أبو نعيم عن ابن عباس وابن عمر قالا قال رسول الله ﷺ: تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة وهي في القرآن، أقول: وهذه التسعة والتسعون لما تطابق بما ذكرناه من المائة وخمسة وأربعين، نجدها فيها والستة والأربعون هي من المكررات الراجعة إلى التسعة والتسعين، وقد نقل هذا العدد عن النبي ﷺ في بخ - ك ٥٤ ب ١٨، ك ٨٠ ب ٦٨، ك ٩٧ ب ١٢ مس - ك ٤٨ ح ٥ و٦ - تر - ك ٤٥ ب ٨٢ - مج - ك ٣٤ ب ١٠ حم - ثان ص ٢٥٨ و٢٦٧ و٣١٤ و٤٢٧ و٤٩٩ و٥٠٣ و٥١٦.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٩١.

(٣) سورة الصافات، الآية: ٤٠.

(٤) نور الثقلين ٢: ١٠٣ في أصول الكافي عن أبي الحسن عليه السلام أنه قال:

(٥) وقد حرف المشركون في الجزيرة من أسماء الله الحسنى فسموا بها آلهتهم المدعاة فحرفوا «الله» فسموا به «اللات»، و«العزيز» فسموا به العزى.

لا يعلم ويكفر به، وهو يظن أنه يحسن، ولذلك قال: وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون «فهم الذين يلحدون في أسماءه بغير علم فيضعونها غير مواضعها»(١).

وبرجعة أخرى إلى آية ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ننتبه بما يلي:

١ - في تقديم «لله» على ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ عناية لحصرها فيه سبحانه وتعالى، فليس - إذاً - لغيره أسماء حسنى حيث هم بجنبه فقراء ولا حسن فيهم إلا كيان الفقر والافتقار إليه وكما يروى عن أحسن أسمائه الفعلية أن «الفقر فخري».

فليس لغير الله شيء من هذه الأسماء الحسنى في أيّ من حقولها، ولا أي نصيب منها.

٢ - الأسماء الحسنى لأنها خاصة بالله، فلا تعني الأسماء العامة المستعملة في الله وما سواه، إذا فـ «شيء - موجود» وما أشبه وإن استعملت في الله ولكنها ليست من أسماءه الحسنى، وحين تستعمل في الله تجرد عن ميزات ما سوى الله بذلك الاستعمال، وقد يصح كونها من أسماءه الحسنى.

٣ - ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ يدلنا انه تعالى لا يدعى إلا بها، فدعوته تعالى بغيرها أم دون اسم منها إلحاد فيها.

٤ - ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ مما يدلنا على توقيفية الأسماء الحسنى حيث ﴿ٱلْأَسْمَآءَ﴾ تعني المعهودة وطبعاً هي في الكتاب والسنة، ولو لم تكن توقيفية لما كان للإلحاد في الأسماء اللفظية معنى.

٥ - قضية الدعوة بها أن يعرف من معانيها ما يصح أن يدعى بها، وهنا ركنان ركينان لتلك الدعوة هما معرفة ذل العبودية وعز الربوبية.

---

(١) المصدر عن كتاب التوحيد للصدوق بإسناده إلى حنان بن سدير عن أبي عبد الله عليه السلام: . . .

٦ - ولأن الإلحاد هو الميل عن الحق، إذا فـ ﴿يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ هو الميل عن الحق في كلا الأسماء والدعوة بها، إلحادان اثنان هما ركنان للمعني من ﴿يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾.

ومن الإلحاد في أسماءه إطلاقها على غير الله كما يطلق على الله، ومنه تسمية تعالى ودعوته بغير هذه الأسماء، ومنه عناية المعاني غير اللائقة بساحته منها، وما أشبه.

ذلك، ومن مجامع الأسماء الحسنى سلبياً وإيجابياً، كتاباً وسنة، محلقة عليها كلها، وشارحة لمعانيها ومغازيها، مبرهنة عليها، موضحة إياها، إن منها الخطبة التوحيدية الجامعة لكل شؤونها ذاتياً وصفاتياً وأفعالياً، للإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام ما لا تجمعه غيرها من الخطب:

«ما وحده من كيّفه، ولا حقيقته أصاب من مثّله، ولا إيّاه عنى من شبّهه، ولا حمده من أشار إليه وتوهمه، كل معروف بنفسه مصنوع، وكل قائم في سواه معلول، فاعل لا باضطراب آلة، مقدّر لا بجول فكره، غني لا باستفادة، لا تصحبه الأوقات، ولا ترفده الأدوات، سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والابتداء أزله، بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، وبمضادته بين الأمور عرف أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له، ضادّ النور بالظلمة، والوضوح بالبهمة، والجمود بالبلل، والحرور بالصّرد، مؤلف بين متعادياتها، مقارن بين متبايناتها، مقرب بين متباعداتها، مفرق بين متداناتها، لا يشمل بحد، ولا يحسب بعدّ، وإنما تحد الأدوات أنفسها، وتشير الآلات إلى نظائرها، منعتها منذ القدمة، وحمتها قد الأزلية، وجنّبتها لو لا التكملة، بها تجلى صانعها للعقول، وبها امتنع عن نظر العيون، لا يجري عليه السكون والحركة، وكيف يجري عليه ما هو أجراه، ويعود فيه ما هو أبداه، ويحدث فيه ما هو أحدثه، إذا لتفاوتت ذاته، ولتجزّأ

كنهه، ولامتنع من الأزل معناه، ولكان له وراء إذا وجد له أمام، ولا لتمس التمام إذ لزمه النقصان، وإذا لقامت آية المصنوع فيه، ولتحول دليلاً بعد أن كان مدلولاً عليه، وخرج بسلطان الامتناع من أن يؤثر فيه ما يؤثر في غيره، الذي لا يحول ولا يزول ولا يجوز عليه الأفول، لم يلد فيكون مولوداً، ولم يولد فيصير محدوداً، جل عن اتخاذ الأبناء، وطهر عن ملامسة النساء، لا تناله الأوهام فتقدره، ولا تتوهمه الفطن فتصوره، ولا تدركه الحواس فتحسه، ولا تلمسه الأيدي فتمسّه، ولا يتغيّر بحال، ولا يتبدل في الأحوال، ولا تبليه الليالي والأيام، ولا تغيره الضياء والظلام، ولا يوصف بشيء من الأجزاء، ولا بالجوارح والأعضاء، ولا بعرض من الأعراض، ولا بالغيرية والأبعاض، ولا يقال له حد ولا نهاية، ولا انقطاع ولا غاية، ولا أن الأشياء تحويه، فتقله أو تهويه، أو أن شيئاً يحمله فيميله أو يعدله، وليس في الأشياء بوالج، ولا عنها بخارج، يخبر لا بلسان ولهوات، ويسمع لا بخروق وأدوات، يقول ولا يلفظ، ويحفظ ولا يتحفّظ، ويريد ولا يضمر، يحب ويرضى من غير رقة، ويبغض ويغضب من غير مشقة، يقول لمن أراد كونه كن فيكون، لا بصوت يقرع، ولا بنداء يسمع، وإنما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه، ومثله لم يكن من قبل ذلك كائناً، ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً - لا يقال: كان بعد أن لم يكن فتجري عليه الصفات المحدثات، ولا يكون بينها وبينه فصل، ولا له عليها فضل، فيستوي الصانع والمصنوع، ويتكافأ المبتدع والبديع - خلق الخلائق على غير مثال خلا من غيره، ولم يستعن على خلقها بأحد من خلقه خضعت الأشياء له، وذلت مستكينة لعظمته، لا تستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره فتمتنع من نفعه وضره، ولا كفء له فيكافئه، ولا نظير له فيساويه، هو المغني لها بعد وجودها حتى يصير موجودها كمفقودها، وليس فناء الدنيا بعد ابتداعها بأعجب من إنشاءها واختراعها، وكيف ولو اجتمع جميع حيوانها من طيرها

وبهائمها، وما كان من فراحها وسائمها، وأصناف أسناخها وأجناسها، ومتلبّدة أممها وأكياسها على إحداث بعوضة ما قدرت على إحداثها، ولا عرفت كيف السبيل إلى إيجادها، ولتحيرت عقولها في علم ذلك وتاهت، وعجزت قواها وتناهت ورجعت خاسئة حسيرة، عارفة بأنها مقهورة، مقرة بالعجز عن إنشاءها مذعنة بالضعف عن إفناءها - وإن الله سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه كما كان قبل ابتداءها، كذلك يكون بعد فناءها بلا وقت ولا مكان ولا حين ولا زمان، عدمت عند ذلك الآجال والأوقات، وزالت السنون والساعات، فلا شيء إلّا الله الواحد القهار الذي إليه مصير جميع الأمور، بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها، وبغير امتناع منها كان فناءها، ولو قدرت على الامتناع لدام بقاءها، لم يتكأده صنع شيء منها إذ صنعه، ولم يؤده منها خلق ما برأه وخلقه، ولم يكوّنها لتشديد سلطان، ولا لخوف من زوال ونقصان، ولا للاستعانة بها على ندّ مكاثر، ولا للإقرار بها من ضدّ مثاور، ولا للازدياد بها في ملكه، ولا لمكاثرة شريك في شركه، ولا لوحشة كانت منه فأراد أن يستأنس إليها، ثم هو يفنيها بعد تكوينها، لا لسأم دخل عليه في تصريفها، وتدبيرها، ولا لراحة واصلة إليه، ولا لثقل شيء منها عليه، ولا يملّه طول بقاءها فيدعوه إلى سرعة إفناءها، لكنه سبحانه دبّرها بلطفه، وأمسكها بأمره، وأتقنها بقدرته، ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه إليها، ولا استعانة بشيء عليها، ولا لانصراف من حال وحشة إلى حال استئناس، ولا من حال جهل وعمى إلى حال علم والتماس، ولا من فقر وحاجة إلى غنى وكثرة، ولا من ذل وضعة إلى عزّ وقدرة منا ما لا نملك ومن أنفسنا، وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى، وأعطانا البصيرة بعد العمى»[1].

(١) (الخطبة ٢٢٨)